

# يتم أغنية الطفولة شعراً ولحناً وصوتاً

## بين الثقافة والتربية والإعلام تضيع موسيقا الأطفال ضمن إهمال واضح



سوسن صيداوي

ليس مستغرباً أبداً.. فكل من يحمل طفلاً من حديثي الولادة إلى عمر أكبر، سواء من الأمهات أم الجدات... إلخ، الكل ومن دون استثناء يضم الطفل إلى قلبه بحنو كبير، ويتأمل طلته الملائكية ويبدأ على الفور بالهددة له، هذه الهددة تعرفها كل البشرية، بكل اللغات، من دون التمييز بين عرق أو دين، ولا حتى جنسية بلد، فالوحد الأكبر بالطبع للبشرية قاطبة، هو الموسيقا وروح النغم.

لكل منا في العالم مجموعة من أغاني الأطفال التي لا يمكن لشيب في الشعر أن يزجها في قائمة النسيان، من من الأمهات لا تغني لطفها «يلتا تام» للسيدة فيروز؛ من من الأمهات لا تسعى لترغيب ابنها في الاعتقال ومحبة النظافة من خلال أغنية «يا قمر» لريمي بندي؛ من من الأمهات لم تعرف طفلها بالكثير من المناسبات والصور والكائنات الحيوانية عبر ألبوم أغاني الأطفال المنوع «يا عصفورة» للسيدة ماجدة الرومي؛ وأخيراً وأليس آخر من من الأمهات لا تحبّ ابنتها على السلوك الحسن من خلال أغاني ألبوم «شاطر شاطر» لنانسي عجرم؟

ولكن الطامة الكبرى في الموضوع المطروح بأننا كلنا نعرف أهمية أغنية الأطفال في التربية، وضرورتها في توسيع المدارك، إضافة للكثير من الميزات، والمعضلة تكون بسؤالنا اليوم: لماذا التقصير؛ وأين الجهود الحقيقية من الموسيقين والمغنين من أجل الإبداع في صناعة كهذه، وتطويرها بشكل دائم ضمن أطر جادة وواعدة وعميقة في البحث من أجل الوصول إلى الهدف المنشود في التربية. فاليوم سورية تخرج من محنة حرب، وإن كان الإنسان السوري مكسوراً وبحاجة إلى الترميم.

كيف حال الطفل الذي اغضب سلامه، وتعكّر نقاء وصفاء فطولته بأبشع وأقنع ما تقدمه إليه الحرب من كل شيء من الطعم والأسود اللون، في موضوعنا سنقدم لكم استعراضاً من أقدم الأغاني للأطفال التي ما زالت في البال، وأترك الإجابة لكم عن السؤال التالي: بالرغم من الحداثة وسهولة الاستطلاع والبحث، مع سرعة الاتصالات، وكلها من العوامل التي لا بد أن تكون مساعداً..

لماذا اليوم لا نجد أغنيات طفولة جديدة، ولماذا الإبداع في مجال أغنية الطفولة ما زال محدوداً والساعي ليست جادة في تنفيذ العادلة التي سبقنا بها الغرب ونجح من حيث تحقيق الربح المادي مع المضمون؟ وقبل بقبنة

الحديث نذكر بأنه من واجب وزارات الثقافة والتربية والإعلام، بأن تنهض وتقدم للطفل السوري الأفضل، من خلال دعم وتفعيل موسيقا وأغاني الأطفال عبر المهرجانات والمسابقات والحفلات المختصة، لأننا حقاً نحتاج إلى وقفة ثابت، من أجل الوطن، بمشروع هو ضرورة ملحة.

من الأهمية بمكان أدب الطفل المعقد، هذا النوع سهل متنع، فيه البساطة، منه الوضوح، وبه علينا المتابعة من أجل هذا الكائن الصغير وهو الطفل، الأخير الذي لا يمكنك استغفاله ولا التقليل من ذكائه، فراداره يعمل بدقة عالية، وحتى الكذب الأبيض عليه لا يمكن أن يمر، ولكنك يا صديقي، كلما كنت صادقاً وصادقاً وبسيطاً ومحياً وسعة صبرك لا محدودة، فستكون ملجأ لطفلك. وفي التربية وتوجيه الطفل وتعليمه، كانت وما زالت الموسيقا نوعاً من أنواع أدبه الخاص، وهي وسيلة تعتمد عليها شريحة كبيرة من الأهالي في العالم، لكون الموسيقا والأغاني فيها الترفيه والإمتاع وتحفيز الخيال وإطلاق الشخصية نحو المعارف. وبالطبع لا بد أن تكون الأغنية التربوية محققة لأهدافها في بناء الطفل جسدياً وعقلياً ونفسياً، وللأسف هذا أمر مغيب في الساحة المحلية والعربية، هذا عدا انتشار الفضائيات التي تنشر فحراً توجيهياً محدداً، بعيداً عن المفاهيم والتقييم الإنسانية الاجتماعية التي تنفق عليها كل شعوب العالم.

وفي التربية والتعليم الكثير منا يتذكر هذا الشئيد التعليمي عن الأعداد، الذي يتم تحفيظه لأطفال الروضة الواحد هو ربي

افنان ماما وبابا ثلاثة هم أخواتي أربعة هم أصحابي خمسة أصابع يدي ستة أقوم من نومي سبعة أروح مدرستي ثمانية أدخل فصلي تسعة أبدأ درسي عشرة أحب معلمتي طرقة الغرابية مع البساطة أغنية الطفل كي تنجح وتلقى الرواج لابد أن تتضمن جوانب طريقة وغريبة إضافة إلى بساطة المعنى والكلام المؤلف فيها والمتماشى مع سن الطفل وإدراكه، ولقد نجح السيد ملاح في أغنيته «إبريق الشاي» التي جعل بطلها نفسه إبريق الشاي الذي يروي للأطفال حكايات غريبة ولطيفة في جو من المغامرة، هذه الأغنية حتى اليوم الأمهات تغنيها للأطفال واليك منها المقطع التالي:

أنا أنا أنا إبريق الشاي.. إيدي كده.. بوزي كده.. أصب الشاي وأرجع كده.. وأعرف بارضو يا كتاكيت أحكي حواديت.. كان في واحد اثنين ثلاثة.. ويا أربعة خمسة تاتا تاتا.. راحوا لعم علي الحلواني.. عازين بسكوت بالشيكولاتة.. الحلواني يا أطفال.. فخر حبة وبعدين قال.. بسكوت بالشيكولاتة مفيش.. يمكن فيه عند البقال.. البقال قال اشتروا سكر.. خدوا فلوكمس كلها سكر.. أحلى شيء في الدنيا السكر.. حتى أسالوا إبريق الشاي.. إبريق الشاي.. أنا أنا أنا إبريق الشاي.. إيدي كده..

بوزي كده.. أصب الشاي وأرجع كده.. وأعرف بارضو ياكتاكيت أحكي حواديت.. كان ياماكان قفطان لونه أحمر.. لابسه أمورة اسمها مرم.. وقطع رومي وديك فيومي.. وأنا وأنتم قاعدين تنتفون.. حاجة ظريفة وعال العال.. لكن فجأة حصل زلزال.. أثاربه الفيل أبو زلومة.. عمال برقص في الأبدال.. جوه الأبدال الهندية.. الفيل يغني أغنية.. ويقول أنا وأنتي يازلومتي.. نشبه سوا إبريق الشاي.. إبريق الشاي.. أنا أنا أنا إبريق الشاي.. إيدي كده.. بوزي كده.. أصب الشاي وأرجع كده.. ضرورة الشقاوة والظرافة

الطفل مشاعب وطريقه في التعلم والتنور هو الاستطلاع والاستكشاف في لعبه المستمر، عبر حواسه وحتى في القراءة أو الكتابة وفي كل شيء، لهذا يجب أن يستهويه كل ما يحيط به كي يعلق في باله، وحتى ولو كان باللغة الفصحى علينا إثارة ذكائه وخياله، فمن أقدم الأغاني العربية التي غنيت للأطفال بالفصحى، هي أغنية «ذهب الليل» وقد غناها الراحل أحمد فوزي، وهي من ألحانه. ومن تأليف حسن السيد:

ذهب الليل  
طلع الفجر  
والعصفور صوصو  
شاف القطة  
قالها بسيس  
قالتله تونو تونو  
من السينما والمسلسلات أيضاً  
وأخيراً أشهر الفنان عبد المنعم مدبولي بحبه وإهتمامه الكبيرين للأطفال، ولم يبخل خلال مشواره الفني بتقديم الأغاني للأطفال عبر مسلسلاته وأفلامه السينمائية، التي بقيت حتى يومنا هذا مخفورة في الذاكرة ومحبوبة لدرجة تعليمها لأطفالنا، ومن أغانيه «كان في واد اسمه الشاطر عمرو»، وأغنية «جدو عبده زارع أرضه»، وأغنية «الشمس البرتقالي»، ومن أشهرها أغنية «توت توت قطر زغنطوط» من مسلسل «لا يا ابنتي العزيزة» حيث شاركته التمثيل الفنانة القديرة هدى سلطان:

توت توت قطر زغنطوط  
توت توت في الليل بيفوت  
توت توت.. ويهل علينا  
توت توت في معاد مزبوط

## لماذا لا تقبل نصيحتي...؟! | هناء أبو أسعد

تجاهلنا لابد أن يبقى أثر منه ولو بسيطاً في نفوسنا فنخضعها ونصرف الانتباه عن النقد والنصيحة لكي نحافظ على تقديرنا الإيجابي لذاتنا ونتهرب من مواجهة الفشل والشعور بالضيق.

النصيحة أسلوب لا يجيده الكثيرون وهي نوع من التقويم للمجتمع وغايتها قد يصيب المجتمع بكارثة وتعطي في الوقت المناسب والأسلوب المناسب فلا صراخ ولا شتائم وهؤلاء يدعون النصيحة..

وبالفعل نصيحة واحدة قد تغير مجرى حياتك وربما أيضاً قد تنقذك من كارثة إن كان أساسها العلم والمعرفة والتجربة في الحياة، وليس الجهل والتهور و«البروطة»، فبعضهم يقدم لك كلاماً غير صحيح ويعطي نصائح هو لا يفعلها.

فلا تقدم النصيحة إلى من يظن أنه أفضل منك وهذا يظهر في نبرة صوتك وتعبير وجهك وحركات اليدين، ولا تعطي نصيحة لا تفعل بها أنت، ولا تعطي نصيحة خاطئة، وخصوصاً لو كنت عالماً بأنها خاطئة، لا تنصح من منطق أن المنصوح جاهل ولا يعرف ماذا يفعل حتى لو كان لا تشعره بذلك. ودائماً توخي الحذر وأنت تقدم النصيحة لأنك لو أخطأت في النصيح قد تسبب كارثة في حياة الآخر ولو أصبت بزرع وتنشر المحبة والود القلب.

واعط نصيحتك في السر وليس في العلانية، وبشكل إفرادي وليس أمام الجماعة فإن النصيح بين الناس قد يعتبره البعض نوعاً من التوبيخ ولا يرضى سماعه.

انصح برفق ولين ومحبة «الشدّة من غير عنف واللين من غير ضعف» وابتعد عن النقد مع استخدام الكلمة الطيبة والابتسامه وبرغم كل ذلك لا تتوقع أن يقبل الآخر نصيحتك وملاحظاتك ومع ذلك لا تتردد في تقديمها.

### في النهاية

النصيحة فن من فنون الحياة يجب أن تتصف باللين والصبر على رود أفعال الآخر لأنها قد تجلب في بعض الأحيان للناس نوعاً من الأذى ورد الفعل غير المحسوب..

فالكلمة الطيبة تحتضن القلب وتنعشه وتبلسم الجروح وتخفف الألم، وتبديد الخوف، تتسلل إلى نفوسنا من دون استئذان لتشرع بدفئتها وتزهر معها أيامنا..

قدم النصيحة بحب وحنان ودفء لأنها لا تحتاج إلا إلى ذلك والجميع يستطيع قولها فهي لا تتطلب جهداً أو تعباً وهي علامة واضحة على المحبة والصدق ودليل حقيقي على حب الآخرين وصلاح البيئة الاجتماعية والقضاء على سلبياتها.



كما قدّم الكثير من الشروح والرسائل، منها: الآثار العلوية لأرسطو، الأخلاق لأرسطو، الألفاظ الأفلاطونية وتكوين السياسة الملوكية والأخلاق، البرهان لأرسطو، الجدل لأرسطو، الخطابة لأرسطو، السماء والعالم لأرسطو، السماع الطبيعي لأرسطو، المغالطة لأرسطو، المقولات لأرسطو، جوامع كتاب النواميس لأفلاطون، شرح رسالة زينون الكبير اليوناني، كتاب المحطسي لبطليموس، مقالة في أغراض أرسطو وكل مقالة من كتابه الموسوم بالحروف، تعليقات الفارابي، رسالة لاسكندر الأفروديسي، مقالة في معاني المعقل الطبيعية لأرسطو.

يُشار إلى أن أغلب كتبه ورسالته هي من محفوظات مكتبة هذه المكتبة العلمية للفارابي، وانتماؤه لأراضي جمهورية كازاخستان؛ فدعا الحكومتين السورية والكازاخستانية لإقامة مركز ثقافي له بجوار ضريحه في دمشق القديمة، السيد الشاغور، شارع البدوي، جوار مقبرة باب الصغير، بتبرع سخي من كازاخستان، وقد وقّعت لذلك بتاريخ ١٨/١٠/٢٠٠٧ اتفاقية، وتشمل أيضاً ترميم ضريح: «السلطان الظاهر بيبرس» بجوار المكتبة الظاهرية في دمشق القديمة أيضاً جوار الجامع الأموي، الذي ينتمي إلى تلك البلاد (٦٢٥ - ٦٧٦ هـ، ١٢٢٨ - ١٢٧٧م)، وبتاريخ ١٤/٢/٢٠١٠ صدر المرسوم التشريعي رقم ٢٠ المنصمّن التصديق على الاتفاقية. ومن المتوقع افتتاح المركز الثقافي التاريخي والمكتبة الظاهرية قريباً بعد أن تمّ الانتهاء من أعمال الترميم والبناء.

من الأفكار والنظريات، وأفادوا من تأليفاته وشروحه وتعليقاته، حتى يمكن القول إنه كان له دور مهم في صياغة ملامح الفكر والوعي والثقافة في الحضارة العربية الإسلامية في مراحلها التالية، إضافة إلى أنه بشروحه كتب أرسطو وأفلاطون قد أدّى دوراً مهماً أيضاً في النهضة الأوروبية، لأن هذه الترجمات والشروح، إلى جانب جهود ابن سينا وابن رشد، كانت المهاد النظري للنهضة الأوروبية وتعريف الأوروبيين على الفلسفة اليونانية. وتروى عنه في الموسيقا عديد تشبه الأساطير، منها قصته مع سيف الدولة عندما عرّف له في مجلسه مع الآلة التي ابتكرها وهي القانون، فأضحك الجميع، ثم عرّف ثانية فأبغى الجميع، ثم عرّف ثالثة فأنامهم وتركهم وذهب، وهذا مما يدل على عبقريته ونبوغه.

ترك الفارابي العديد من الآثار ما بين التأليف والشرح والتعليق، التي شغلت معاصريه ومن بعدهم وفيما يلي استعراض سريع لها:

- إحصاء العلوم، وفيه إحصاء العلوم المشهورة علماً علماً، وجعل ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزأ كل ما له منها أجزاء، وجعل ما في كل واحد من أجزائه.
- آراء أهل المدينة الفاضلة.
- التنبيه على سبيل السعادة.
- الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون وأرسطو.
- السياسة المدنية، أو مبادئ الموجودات.
- المسائل الفلسفية والأجوبة عنها.
- تصنيف السعادة.
- عيون المسائل.
- فصوص الحكم.
- كتاب الموسيقا الكبير.

### نبيل تلو

هناك رجالٌ تنتهي ذكراهم مع آخر حبة رمل تنثر على قبورهم، على حين أن هناك رجالاً آخرين تبقى ذكراهم عالقةً في أذهان الناس لا يحمونها تعاقب الأيام والسنين، إن أن أعمالهم قد حصنتهم بالخلود غداً وحيلهم الأبدية، فتحوّلت آثارهم وقبورهم إلى شموع ينتائر نورها حياً وعلماً يبقين على مدى الأجيال المتعاقبة، ومن هؤلاء الفارابي، الذي أكتب عنه هذه المقالة، أملاً أن يتذكر كرام القارئات والقراء ما نسوه، وأن يتعرفوا على ما لا يعرفونه.

أبو نصر الفارابي، محمد بن محمد بن طرخان، المولود في «فاراب» في كازاخستان حالياً عام ٢٥٧ هـ، ٨٧٠ م، ومنها استمد اسمه، والمتوفى بدمشق عام ٣٣٩ هـ، ٩٥٠ م، وهو، وإن كان من أصول فارسية أو تركية، عروبي الانتماء الثقافي والحضاري والنفسي والاجتماعي، فيلسوف عربي إسلامي، درس الفقه والحديث والتفسير، واعتنى بالرياضيات والطب والموسيقا، تحدث عدداً من لغات عصره، ويعد من أبرز شارحي كتب أرسطو، وأوائل من وضعوا الأسس للتصور الفلسفي للسياسة.

سافر يافعاً مع أبيه إلى بغداد حيث تعلم العربية ونهل من معين علمائها، ثم ذهب إلى حران وفيها تابع تحصيل الفلسفة والمنطق، ثم عاد إلى بغداد أستاذاً ومنتقفاً، وأخذت التلاميذ تتوافد عليه وبنع كثير منهم، ثم انتقل من بغداد إلى دمشق سنة ٣٣٠ هـ، ٩٤١ م، ومنها انتقل إلى مصر، ثم توجه إلى بلاط سيف الدولة في حلب فلزمه لما لقبه من الإكرام، وصحبه في حيلته على دمشق، ولكنه لم يبقها ثانية إذ توفي فيها.

يعدّ الفارابي علامة مميزة في تاريخ الفكر البشري عامةً، فهو في عرف الفلاسفة «المعلم الثاني» بعد أرسطو المعلم الأول، فقد كان نابغةً في مختلف ميادين الفلسفة إلى جانب بعض العلوم، ويدل لقبه المعلم الثاني على سمو مكانته وأهميته وأثره البالغ فيمن تلاه من الفلاسفة العرب خاصةً، وفي الثقافة العربية الإسلامية عامةً، فقد كان العماد الثاني بعد الكندي في تأسيس دعائم الفلسفة العربية الإسلامية وتحديد هويتها وخصائصها واصطلاحاتها ومشكلاتها الخاصة، التي تمايزت بها من الفلسفة ومن الفكريين الهنديين والفارسي، اللذين أمدا الحضارة العربية الإسلامية أيضاً بأفكار مختلفة.

أخذ الفلاسفة والمفكرون اللاحقون عن الفارابي كثيراً